

الفصل السابع

تحليل البيانات الكيفية

إن تحليل بيانات الدراسات الكيفية عملية مستمرة تبدأ مع الدخول إلى الحقل الميداني وحتى الخروج منه. في اليوم الأول لجمع البيانات، تبدأ في تحليل ما تراه وتشعر به وتسمعه من المشاركين في الدراسة. وهي العملية التي يسميها الباحث الكيفي "غمر النفس" *immersing oneself* في البيانات التي يتم جمعها أو التي تولدها المناقشات. تبدأ كباحث في التفاعل مع البيانات، وتحاول أن تفهم ما الذي تقول لك. تعتمد في أو الأمر على ما ذكره المشاركون في المقابلات معهم. وأفضل ما يمكن أن تفعله خلال فترة المقابلات، (حتى وان كنت تسجلها) هو أن تسجلها كتابياً بمجرد الانتهاء منها، إذ أن من شأن ذلك أن يساعدك على "أن تعيش من جديد" سياق تجربة المقابلات. قد تكون ملاحظتك كلمة واحدة أو عبارة بسيطة أو اقتباساً مثيراً أو مثالا ترى أنه سوف يدعم بياناتك. و قد تكون مذكراتك شخصية، تحليلية أو ذهنية. على سبيل المثال، انطباعاتك الشخصية عن المقابلة هي مذكرات شخصية قد تساعدك في إضافة بعض الآراء المتبصرة المثمرة إلى البيانات. كما أنه بإمكانك تتبع أي عبارات أو أقوال تتم عن تناقض. وتذكر أن الأشياء التي لم يصرح بها أو التي صرح بها عدد قليل من المشاركين هي أيضاً معلومات مهمة. أنت لست بحاجة إلى كتابة مذكراتك أثناء عملية ملاحظة المشاركين، بل مباشرة بعد مغادرة الحقل أو خلال استراحة قصيرة في مطعم قريب قبل مغادرة الميدان.

إن ما تلاحظه في الميدان يتساوى في أهميته مع ما تتعلمه أو تسمعه من المشاركين. ففي بعض الحالات تتفق ملاحظتك مع ما تسمعه. على سبيل المثال، في سياق مشروع أكاديمي عن الصحة الحضرية، وأثناء تجوالنا في ضاحية فقيرة، وجدنا أن النهر المهمل بالضاحية كان يشغل بال معظم أفراد المجتمع المحلي، بيد أن هذا النهر لم يكن يشكل أي جزء من اهتمامنا أثناء عملية التفكير في إجراء المقابلات. إذن، من شأن مذكراتك أن تساعدك على تقسيم بياناتك إلى فئات أو مجموعات أو موضوعات ولكنها ليست أي موضوعات. فالموضوعات عادة ما تأخذ شكل عدد محدود من الكلمات أو عبارة مستمدة من سؤالك البحثي. فالموضوعات يولدها السؤال البحثي. بمعنى آخر، ان التحليل، مثله مثل جمع البيانات، توجهه أسئلة البحث. وهناك موضوعات أخرى قد لا تكون قد طرأت على بال الباحث، ولكنها تهتم المشاركين، ويمكن إضافتها لقائمة الموضوعات أو فئات البيانات. ففي البحث الكيفي، ما يهمنا هي الموضوعات أو فئات البيانات التي يعاد تكرارها،

وهو ما نطلق عليه تحليل الموضوعات وهو أحد الطرق المستخدمة في تحليل البيانات الكيفية. ويقوم Huberman & Miles (2002) بتحديد الوظائف الكيفية الجوهرية، فمهمة الباحث الكيفي هي شرح واستطلاع ورسم الخرائط والتنظير ووضع المفاهيم والبيانات في فئات لتنظيم البيانات الخام. فما يهمنا هي التفاصيل العميقة، والتفسيرات التحليلية والخروج بوصف نجد فيه اجابة على سؤالنا البحثي. كما أن هناك أيضا تحليل المحتوى والتحليل السردي (القصصي narrative). أما تحليل المحتوى فهو أن تنتظر مثلا في صحيفة وتحصى عدد مرات ذكر موضوع ما.

وكما أشرنا سالفاً، يعتبر التحليل في البحث الكيفي عملية أو إطار مصمم لمساعدة الباحث على اكتشاف وتعريف الموضوعات ووضعها في مجموعات أو فئات. وتنج هذه العملية جذورها في البيانات بدلا من الفروض، وهو ما أشرنا إليه سالفاً بالمقاربة الاستقرائية (وليست المقاربة الاستنتاجية). وعلى هذا الأساس، تتسم العملية بالمرونة الشديدة والشمولية. وفي هذا السياق، نجد أن الاستثناءات هي على نفس القدر من الأهمية كالحالات العامة. ويمكن لأعضاء الفريق الآخر أن يشتركوا في عملية تحليل البيانات. لقد حدد Ritchie and Spencer (1994) الخطوات التي يشملها إطار التحليل كالاتي:

- 1- التعرف على البيانات.
- 2- تحديد إطار للمعلومات.
- 3- الفهرسة أو تحديد فئات معينة.
- 4- ملأ الجدول.
- 5- رسم الخريطة والتفسير: تفسير ما وجدت

حين تبدأ بتحليل البيانات، عليك أولاً أن تتعرف عليها جيداً. فبعد أن تكون قد كتبت مذكراتك في الحقل الميداني، وقارنتها بالمقابلات المسجلة، تبدأ في تفريغ الشرائط. وسوف تساعدك المذكرات على تذكر وتتبع ما قاله المشاركون. وبعد تفريغ الشرائط، تبدأ في تحليل الموضوعات، وهي العملية التي تشمل عدة خطوات. بعد أن تكون قد تعرفت على البيانات، عليك أن تحدد إطاراً للموضوعات تذكر فيه الموضوعات الرئيسية التي تكرر الإشارة إليها، ومن قالها، ثم تضع تلك الموضوعات في فئات معينة وتستخدم تلك الموضوعات في ملأ جدول المصفوفة. تتكون المصفوفة من صفوف رأسية وأخرى أفقية.

تسجل فى الصفوف الأفقية الموضوعات على أساس استمارة المقابلة أو اى مواد أخرى تظهر خلال عملية البحث. أما فى الصفوف الرأسية، فتسجل الأسماء أو الأسماء المستعارة للمشاركين. وإحدى الوسائل لتذكر كل منها (إذ أنك بطبيعة الأمر لن تذكر الأسماء فى التقرير النهائى) هو أن تشير إليهم بالجنس ونوع المؤسسة التى ينتسبون إليها). ومن المربعات الرأسية تحت كل موضوع، تبدأ فى تدوين مذكراتك فى شكل كلمات أو عبارات تتعلق بالمشارك الذى ذكرها. أما الخطوة التالية، فهى أن تبدأ فى قراءة مذكراتك رأسياً وأفقياً، مع البحث عن الأنماط أو الموضوعات المتكررة والتركيز عليها.

المشاركون	الوسائل المستخدمة	المظاهر الإيجابية	التحديات والمعوقات
الباحث 1	الملاحظة المتعمقة والمقابلات	-تغير رأى المرء فى نظرتة للأمور : فليست هناك طريقة واحدة لرؤية الأشياء - الاهتمام بالآخرين - البحث الكمي والكيفى يكملان بعضهما البعض.	التواصل مع الآخرين يجعل البحث الكيفى أكثر صعوبة - احترام ثقافتهم ومعرفة كيف تتحدث إليهم بلغتهم -التعرف على الأشخاص ذوى النفوذ - صعب التنبؤ به - الحرص على الإعتبارات الاخلاقية.
الباحث 2	الملاحظة المتعمقة والمقابلات	التفاعل مع الآخرين يعطى لمحة عن الواقع بشيء من الانسانية والصدق - تصبح أكثر تحكماً فى سؤال البحث - يمكن إتمامه مع مجموعة (يساعد) - الشعور بالسعادة أثناء إجراء تحليل الموضوعات.	الملاحظة غامرة تدوين كافة التفاصيل - استخدام جهاز التسجيل كان أمراً معقداً - التأكد من عدم ازعاج المشاركين فى سياقاتهم الطبيعية. اهتم بالآخرين- صعوبة العمل مع الأفراد ذوى التوجه الكمي.
الباحث 2	الملاحظة المتعمقة والمقابلات	تتعرف على عدد من حراس الموقع وأشخاص أساسيين قد يساعدونك فى أبحاث أخرى فى المستقبل. فهم الحقائق المتعددة. التعرف على ناس جديدة. تطبيق النظرية على الواقع.	الوصول إلى حراس الموقع- معرفة وضعك تجاه الآخرين- مخاطر الذاتية (حاول أن تكون موضوعياً دائماً)- نظرات الشك - التحدث بلغة الآخرين (بالرغم من اننا نفكر باللغة الإنجليزية).
الباحث 4	الملاحظة المتعمقة والمقابلات	تصبح جزءاً من عملية البحث - البحث الكيفى يستمر إلى الأبد. يمكنك عمل أشياء غير تقليدية (أكتشاف أبعاد جديدة).	تغلب على أفكارك المسبقة حاول أن تكون موضوعياً و مرنا و سهل التكيف مع الأوضاع - تصبح جزءاً من الدراسة.

<p>-صياغة وبناء الأسئلة - لغة الجسد, الوصول إلى الناس أو حراس الموقع. الإعتبارات الأخلاقية</p>			
<p>طريقة تفكير جديدة (إلى أى مدى يمكن للمرء أن يكون أكثر تعمقاً- كتابة الأسئلة- إجراء المقابلات -وقت المقابلة.</p>	<p>وسيلة لطيفة وجديدة للتفكير والعمل, تساعد على تطوير القدرة على التعاطف مع الآخرين وفهم مسائل عديدة-تطرح تساؤلات عن التفاعل مع المجموعات المستهدفة(ليسوا مجرد أشياء يجرى تحليلها على الكمبيوتر). عندما تقترب من الآخرين, تتغير حياتك.</p>	<p>المقابلات المتعمقة.</p>	<p>الباحث 5</p>
<p>إعادة توجيه الحديث مع الثرائين والنقصى مع الخجولين- صعوبة كسب ثقة البعض وتسجيل الحديث (مرضى الجامعة الأمريكية بيروت). التأكيد على مسائل الخصوصية.- مسألة التوقيت.</p>	<p>البحث الكيفى يساعد على التقرب من الآخرين ويقدم الصورة كاملة- يمكن للمشاركين أن يضيفوا معلومات. يمكن للبحث الكيفى أن يستعيد المعلومات بدقة من خلال النقصى.</p>	<p>المقابلات المتعمقة.</p>	<p>الباحث 6</p>
<p>أكتساب مهارات تطبيق المنهجيات المختلفة - بناء RQ, IS - تعلم كيفية إعداد قوائم checklists - إجراء مقابلة شخصية متعمقة - التحكم فى أحداث المقابلة يستغرق وقتاً - الاعتماد على الشفافية يتعارض مع القبول الاجتماعى والشعور بالاستقرار - يتطلب أفراداً ذوى نوعية عالية من التدريب والمهارات.</p>	<p>الاثولوجرافيا تضيف حقائق يصعب التنبؤ بها للجزء الكمي - لا تساعد الاحصائيات على فهم النواحي الثقافية والاجتماعية للأشياء ، البحث الكيفى يساعد على أكتشاف التعايش (مثال) - يفضل إجراء البحث الكيفى فى المجتمعات القائمة على الفوضوية</p>	<p>الملاحظة - تحليل محتوى الوثائق المكتوبة - مجموعات النقاش البؤرية دراسات الحالة</p>	<p>الباحث</p>
<p>المنهجية نفسها -الذاتية - مقاييس اخلاقية نسبية قد يتفاعل الأشخاص بشكل</p>	<p>تنوع الوسائل - النسبية إذ أن البحث الكيفى يبدأ بمنطق معين: إعادة النظر أو النقد الذاتى</p>	<p>الملاحظة (مباشرة) وبالمشاركة) مجموعات نقاش</p>	<p>الباحث</p>

مختلف مع نفس خط السلوك المعوقات: يظهر عنصر هام من عناصر العمل الميداني كل مرة	وصف السياق - مقارنة الوصول إلى الحقل الميداني، عملية الملاحظة والتحليل مهمة للغاية - البحث الكيفي يسمح بنضوج الآراء ويساهم في بناء الشخصية، الأرقام وحدها ليس لها أهمية معنوية : البحث الكيفي يضيف آراء متعمقة.	بؤرية - مقابلات متعمقة	
---	---	------------------------	--

وحتى يكون تقريرك واضحاً، حاول أن تجمع الموضوعات المتكررة تحت عناوين فرعية أو فئات فرعية، على سبيل المثال، إذا نظرت في الفئات المذكورة اعلاه، و لتكن مثلاً، المظاهر الإيجابية للبحث الكيفي، قد تجد أن الفئات الفرعية أو الموضوعات الفرعية التي تم التركيز عليها يمكن تجميعها تحت العناوين الآتية:

1. المظاهر الاجتماعية للتفاعل مع الآخرين والتقرب منهم
2. مسائل منهجية تندرج تحتها الآراء المتعددة والشمولية للأشياء، والتأكيد على عدم شمولية البحث الكمي (insert exercise to guess sub-themes)

تستمد المصفوفة أهميتها من امكانية القاء نظرة خاطفة على الأشياء، بحيث تصبح العملية هي عملية تفكيك وإعادة بناء: التنظير حول سؤال البحث و شرحه. وأخيراً، تقوم بتفسير ما توصلت اليه من خلال البدء في كتابة بعض الجمل و العبارات العامة عن الموضوعات المختلفة. ثم تسعى إلى تفسير تلك الجمل ومناقشتها ودعمها بأمثلة واقعية واقتباسات وتذكر أنه أثناء عملية تفسير البيانات، يجب أن تتجنب استخدام عبارات تشمل أحكاماً مثل "سيئ" "أسوأ" أو عبارات قيمة مثل "منطقة فقيرة" . ففي تلك الحالة، يمكنك استعاضة كلمة "فقيرة" ب "متدنية الوضع الاجتماعي والاقتصادي"